

المحاضرة الثالثة :

الملاحظة أنواعها و شروطها :

يتطلب البحث العلمي جمع معلومات حول الظاهرة أو المشكلة التي يتناولها الباحث، وتلك المعلومات إما أن تكون معلومات تاريخية، بمعنى سابقة على تاريخ إعداد وتنفيذ البحث، أو معلومات حاضرة يقوم الباحث بجمعها من خلال اختيار المفحوصين (عيّنة البحث)، والصنف الأخير من المعلومات هو الأكثر إفادة في فهم الظواهر، وخاصة في البحوث والرسائل التي ترتبط بالعلوم الاجتماعية، ويستخدم الباحث أدوات الدراسة للوصول لمبتغاه فيما يتعلق بالبيانات والمعلومات، وسنستعرض في مقالنا الملاحظة في البحث العلمي كإحدى أهم أدوات الدراسة البحثية.

تعريف الملاحظة في البحث العلمي:

- تعريف الملاحظة في البحث العلمي (1): هي عبارة عن قيام الباحث بالانتباه والتدقيق تجاه ظاهرة أو حادثة معينة، والهدف التقصي والتحري وسبر الأغوار، وَمِنْ تَمَّ التوصل للعلاقات بين المتغيرات، وتحديد نتائج.
- تعريف الملاحظة في البحث العلمي (2): هي عملية يقوم فيها الباحث بمشاهدة ومراقبة إحدى الإشكاليات؛ من خلال اتباع النسق العلمي الصحيح، ووفقاً لأهداف وخطط وضعت بشكل مُسبق، وَمِنْ تَمَّ بلوغ المعرفة أو التوصل لحلّول عن مشكلة علمية من الناحية التطبيقية.
- تعريف الملاحظة في البحث العلمي (3): وسيلة للحصول على المعلومات واكتساب الخبرات، وفهم الظواهر العلمية بأسلوب دقيق.

ما العناصر التي وجب أن تتوافر في الملاحظة العلمية؟

- من المهم أن يكون لدى الباحث معلومات أولية فيما يتعلق بظاهرة الدراسة، وذلك قبل أن يقوم بالملاحظة.
- عنصر الانتباه في طليعة العناصر الواجب أن تتوافر في الملاحظة العلمية، وذلك يُجنب البحث التحيز لوجهات نظر شخصية.
- يجب أن يكون الباحث مُدرِّكاً وبصورة عقلانية لجميع ما يفعله؛ حتى يستطيع ترجمة ما ينتبه إليه بصورة منطقية، وقد يلاحظ أكثر من شخص ظاهرة واحدة، وفي النهاية فإن التفسير يختلف فيما بينهم.
- ينبغي أن يختار الباحث طريقة معينة لتسجيل ما يراه من أحداث مع أهمية أن يتوافر لديه الخبرة المسبقة في ذلك.
- قبل أن يشرع الباحث في القيام بعملية الملاحظة يجب أن يحدد المشكلة العلمية ويضع لها تساؤلات وفرضيات.
- من المهم أن يكون لدى الباحث الخبرات المناسبة للقيام بعملية التحليل، وَمِنْ تَمَّ قياس البيانات والمعلومات؛ سواء أكان ذلك بصورة كمية أو كيفية.
- ينبغي أن يضع الباحث أهدافاً من عملية الملاحظة، وذلك يساعد على زيادة التركيز في عملية جميع البيانات، وهو من الأمور المهمة للغاية عند دراسة الإشكاليات الوصفية خاصة.

• ينبغي أن يتمتع الباحث بحواس سليمة؛ كي يستطيع أن يتابع ما يلاحظه ويدون المعلومات بشكل دقيق.

أنواع الملاحظة في البحث العلمي:

تصنيف الملاحظة في البحوث العلمية تبعًا للعديد من المحددات، وسنوضح أبرزها فيما يلي:

أنواع الملاحظة وفقًا لإعداد المسبق:

• ملاحظة بسيطة عفوية: ولا يتطلب ذلك النوع من أنواع الملاحظة وضع أهداف أو خطط مُسبقة، وتنتج عن هذه الملاحظة بلوغ الباحث لفرضية علمية معينة قيد الاختبار، ويعتبر الخبراء الملاحظة البسيطة هي البداية الممهدة للملاحظة العلمية.

• ملاحظة منظمة مقصودة: وهي الملاحظة التي يسبقها خطة وأهداف وتحديد لمختلف المشاهدات المتعلقة بالظاهرة، ويقوم الباحث بها بناءً على صياغة فرضيات يتوقع الباحث أن تكون هي الحل للمشكلة أو القضية العلمية التي يتناولها.

أنواع الملاحظة وفقًا للمكان:

• الملاحظة المعملية: وتلك الملاحظة تكون وفقًا لضوابط معينة يوفرها الباحث، وترتبط بالتجارب المعملية.

• الملاحظة غير المعملية: وفيها يقوم الباحث بدراسة بعض الظواهر على الطبيعة، وتتبع الحالة خارج المعمل.

أنواع الملاحظة حسب مشاركة الباحث للمُستجيبين:

• الملاحظة بالمشاركة: وفيها يشاهد الباحث المُستجيبين (أفراد عيّنة البحث)، ويقوم بتسجيل جميع المعلومات والبيانات التي تهمه.

• الملاحظة من دون المشاركة: وفي ذلك النوع من أنواع الملاحظة في البحث العلمي يتعايش الباحث مع جماعة المُستجيبين عن قُرب، ويشاركهم الحديث بُغية التوصل إلى معلومات البحث، فنجد بعض الباحثين يتنكَّر في زي مسجونين ويتفاعل معهم.

أنواع الملاحظة وفقًا لعدد المُتلاطين:

• الملاحظة الفردية: وفي ذلك النوع من أنواع الملاحظة في البحث العلمي يقوم الباحث بمُتابعة حالة واحدة فقط.

• الملاحظة الجماعية: وفيها يقوم الباحث بمُتابعة أكثر من شخص؛ مُستهدفًا التعرف على سماتهم وخصائصهم.

أنواع الملاحظة حسب الغاية أو الهدف:

- الملاحظة المحددة: وفيها يضع الباحث معايير للمعلومات التي يرغب في تجميعها، سواء أكانت نوعية أو كمية.
- الملاحظة غير المحددة: وفيها يقوم الباحث بإجراء دراسة شاملة مُستهدفاً جمع مختلف المعلومات التي تتعلق بالظاهرة.

ما إجراءات الملاحظة في البحث العلمي؟

- تحديد مشكلة البحث: أول إجراءات الملاحظة يتمثل في تحديد الباحث لموضوع أو مشكلة البحث، ومن المهم أن تكون الظاهرة محل الملاحظة واضحة، ويتكرر حدوثها؛ كي يتمكن الباحث من التدقيق في المشاهدة.
- تحديد أهداف الملاحظة: قبل أن يقوم الباحث بعملية الملاحظة يجب أن يحدد أهدافاً، كي يستطيع أن يدقق في جوانب معينة، ويركز على معلومات محددة.
- صياغة بطاقة الملاحظة: وهي بطاقة تتضمن مجموعة صفات وسمات يبحث عنها الباحث في جماعة المفحوصين.
- تحديد مكان وتوقيت الملاحظة: يتطلب إجراء الملاحظة في البحث العلمي اختيار الباحث للمكان المناسبة، وعلى حسب موضوع البحث، فعلى سبيل المثال في حالة دراسة الباحث للأطفال الجانحين؛ فهنا يكون المكان المناسب هو دور رعاية الجانحين، وكذلك يجب على الباحث أن يختار التوقيت المناسب للملاحظة، مع أخذ الموافقات من الجهات المنوطة بذلك.
- التأكد من صدق المعلومات: يتوجب على الباحث التأكد من سلامة المعلومات التي يقوم بجمعها، ويمكن أن يقوم في سبيل تحقيق ذلك بتكرار الملاحظة على توقيتات مُتباعدة مع إجراء مقارنة بين الملاحظات المختلفة.
- التسجيل الفوري للملاحظة: يمكن أن يستخدم الباحث ما يراه مناسباً من تقنيات علمية في سبيل القيام بعملية التسجيل الفوري للمعلومات، وفي هذه الفترة يتوافر كثير من التكنولوجيات التي تمكن الباحث من ذلك، وفي طليعتها الهواتف الجوال، والكاميرات المخفية.

تقويم الملاحظة في البحث العلمي (المزايا - الإيجابيات):

المزايا:

- يمكن أداة الملاحظة في البحث العلمي في مختلف تصنيفات البحوث العلمية؛ سواء التي ترتبط بالعلوم الطبيعية أو الاجتماعية أو الإنسانية.
- تساعد الملاحظة في بلوغ الباحث لمعلومات علمية أكثر دقة عن غيرها من أدوات البحث العلمي الأخرى، وبما يزيد من دقة وصحة النتائج النهائية للبحوث والرسائل العلمية.

- في حالة عدم تمكُّن الباحث من استخدام الاستبيان أو المقابلة في البحوث العلمية؛ فإن الحلّي المثالي على استخدام الملاحظة.

العيوب:

- من المهم أن تتَّسم المعلومات التي يحصل عليها الباحث من خلال الملاحظة بعدم الموضوعية، والباحث هو رقيب نفسه وينبغي أن يتحلّى بالأمانة العلمية في النقل عند استخدام الملاحظة.
- تتطلب الملاحظة في البحث العلمي وقتًا زمنيًا كبيرًا بالمقارنة بأدوات البحث العلمي الأخرى؛ مثل: الاستبيان، والاختبارات، وطرق الإسقاطات.
- تتطلب الملاحظة في البحث العلمية تكلفة مالية مرتفعة عن غيرها من أدوات البحث العلمي، وخاصة الملاحظة التي ترتبط بالتجارب العلمية.
- قد يتعمَّد المستجيبون تغيير سلوكهم في حالة اكتشافهم قيام الباحث بالملاحظة وتجميع المعلومات.